الإعلام الفرنسي والانتخابات التركية: مبالغة بالاهتمام وغياب الحيادية

عبد النور تومي

أبدت الصحافة الفرنسية اهتماماً كبيراً بالانتخابات التركية، كباقي الصحف والمجلات الأوروبية والغربية الأخرى، وأعترف أغلبها بسر نجاح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان؛ كما جدد ساسة وإعلاميون فرنسيون الاعتراف بأن الرئيس اردوغان يحظى فعلاً بشعبية كبرى.

ركز الإعلام الغربي بعامة، والاعلام الفرنسي بخاصة، اهتمامه بشكل كبير ولافت على الانتخابات التركية الأخيرة، وبتركيز أكثر على شخص الرئيس رجب طيب أردوغان، الذي أعيد انتخابه لعهدة رئاسية جديدة. من المعتاد ان الإعلام الفرنسي كان يهتم كثيراً بالانتخابات الرئاسية وإنتخابات التجديد النصفي في الولايات المتحدة الأمريكية، وليس بالانتخابات التركية كما رأيناه في هذه المرة.

بعد أن أتى هذا الشخص المحافظ الذي لم يخف يوما تديّنه في بلد أراده التيار العلماني المتطرف أن تصبح العلمانية فيه هي دين تركيا "الحديثة"، وذلك في محيط اجتماعي وثقافي محافظ، برز نجم شخص الرئيس رجب طيب أردوغان في سماء إسطنبول المضيئة وفي وسائل الإعلام، وكذلك على مستوى الساحة السياسية والثقافية التركية، وبعقلية وثقافة وسلوك الرجل التركي العام وليس ذلك الرجل النخبوي.

قليل من يعرف أن الرئيس أردوغان كاد أن يكون لاعبا محترفاً في كرة القدم، وكان رفاقه على المستطيل الأخضر يلقبونه بالإمام القيصر، نسبة لأسطورة دفاع نادي بايرن ميونيخ ومنتخب ألمانيا الغربية في منتصف ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، فرانز بيكنباور، الذي كان يلقب بالقيصر، والرئيس أردوغان كان يلعب مدافعا محوريا في فريقه.

اعتراف بالهزيمة..ولكن على مضض

أبدت الصحافة الفرنسية اهتماماً كبيراً بالانتخابات التركية، كباقي الصحف والمجلات الأوروبية والغربية الأخرى، وأعترف أغلبها بسر نجاح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان؛ كما جدد ساسة وإعلاميون فرنسيون الاعتراف بأن الرئيس اردوغان يحظى فعلًا بشعبية كبرى. لا تقتصر على دعم فعلي متزايد من فئة شباب محافظ، متدين، ومتشبع بالمبادئ القومية- الإسلامية التركية، فعلى سبيل المثال تطرقت صحيفة فيغارو Le Figaro اليمينية، صاحبة نهج النشر المعادي للمسلمين المتدينين، وللإسلام عموما، الداعمة لفكرة "إسلام فرنسا" وللمسلمين ال"مندمجين" في المجتمع الفرنسي، بحسب قراءتهم لمسلمي فرنسا. فقد خصصت هذه الصحيفة الفرنسية مقالا حول فوز الرئيس أردوغان في الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية التركية، مؤكدة أن موقف أنصار

أردوغان لم يتزحزح مع استعدادهم للاحتفال بالنصر. وذكرت الصحيفة أن فوز أردوغان استطاع إعادة فكرة الاعتزاز لسكان القرى والأرياف والمناطق المتواضعة أمام النخبة الحضرية، أو كما عرفتهم الصحيفة بورثة الجمهورية العلمانية. وأضافت بأن "أنصار اردوغان يعتقدون ان الحكومات العلمانية السابقة أرادت أن تمحوهم، لكن الرئيس أردوغان أعادهم إلى الصورة". وأشارت الصحيفة إلى أن موقف أنصار الرئيس اردوغان لم يتزعزع على الرغم من الأزمة الاقتصادية، وكذلك على الرغم من تداعيات زلزال شباط في تركيا. وتابعت الصحيفة، يرى هؤلاء أنه ليس لدى المعارضة ما تقدمه، بصرف النظر عن خطر الانزلاق مرة أخرى إلى نفس حالة عدم الاستقرار وانعدام الأمن التي كانت سائدة في التسعينيات. وأضافت قائلة "يدافع أنصار حزب العدالة والتنمية عن مشروع إعادة بناء الدولة واستعادة قيم الإمبراطورية العثمانية مع التوفيق بينها وبين قيم الحداثة والتكنولوجيا".

صحيفة ليبراسيون Libération ذات التوجه اليساري المعتدل، والمقربة من النقابات العمالية والطلابية بفرنسا، أشارت في مقال نشر فيها بأن تركيا فكرياً واجتماعياً ليست إسطنبول كما يصوّرها الإعلام والنخب اليسارية والطبقة البورجوازية الليبرالية، فقد أوشكت نتيجة الانتخابات الرئاسية أن تكون معجزة، وكذلك نتيجة الانتخابات التشريعية، التي استطاع فيها حزب العدالة والتنمية أن يحتفظ بنصف المقاعد في البرلمان التركي.

نزعة عدائية

نشرت صحيفة لوموند Le Monde بعد اعلان نتائج الانتخابات الرئاسية التركية في 28 أيار الماضي مقالاً جاء فيه: "ان انتصار الرئيس أردوغان جاء على أرضية -القومية- أكثر من فوزه على أرضية -الإسلاموية-", وشككت الصحيفة في ذلك المقال في المسار الديموقراطي والانتقال السلمي للسلطة في تركيا, حيث ورد فيه: "أن تركيا منذ فشل المحاولة الانقلابية سنة 2016 وهي تعيش تحت نظام ديمقراطي خاص، بصفة مركبة من كلمتي ديمقراطية وديكتاتورية: نظام ديمو-كتاتوري!".

موقع Mediapart الفرنسي ذو التوجه اليساري، وهو موقع إعلامي استقصائي أسسه الصحفي السياسي Edwy Plenel بعد مغادرته لعمله في صحيفة لوموند، نشر هذا الموقع عدة مقالات عبر فيها عن الأسى لخيبة الأمل القاسية التي تعرضت لها المعارضة التركية في هذه الانتخابات، علماً ان هذا الموقع سبق وان نشر عدة استطلاعات رأي تشير إلى فوز مرشح المعارضة كليجدار أوغلو في الجولة

الأولى من الانتخابات الرئاسية. وفي السياق ذاته، نشر راديو فرنسا على موقعه الرسمي ما يشير إلى امتعاضه من نتائج الانتخابات التركية الأخيرة، وراديو فرنسا كما هو معروف إذاعة تبث محلياً ودولياً، وهي تابعة مباشرة للحكومة الفرنسية، وتديرها الدولة الفرنسية عبر مجموعة France Media Monde الإعلامية المرتبطة رسمياً بوزارة الخارجية الفرنسية، ضمن سياسة التأثير في الجمهور المتواجد خارج فرنسا، بما في ذلك الجمهور العربي، إلى جانب منصات إعلامية فرنسية أخرى تعمل ضمن نفس التوجه، مثل فرانس24 عربي، وإذاعة مونت كارلو الدولية الناطقة باللغة العربية.

أما مجلة Le Point، وهي مجلة فرنسية أسبوعية يمينية متشددة، فقد نشرت مقالًا طويلًا للصحفي غليوم بريي Guillaume Perrier، الذي يقدم نفسه بوصفه خبيراً في الشأن التركي، عنوان المقال كان "اردوغان..بوتين آخر"، تضمن المقال جمل حول الرئيس اردوغان مثل

"الديكتاتور الذي يسعى لإعادة مجد الدولة العثمانية". مضامين هذا المقال، والمقالات المشابهة له، تعد نوع من التدخل السافر في شؤون الغير، وكأن الانتخابات التركية العامة تجري في فرنسا الغارقة في أزماتها ثلاثية الأبعاد: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل وحتى الجيو-سياسية.

الإعلام الفرنسي ينظر إلى تركيا من خلال مرآة مشوهة، تركّز على المراكز الحضرية الرئيسة، كأنقرة وإسطنبول وإزمير، وتتجاهل تركيا الأناضولية التي ترى في الرئيس أردوغان المرشح والقائد الوحيد القادر على ضمان استقرار بلد محاط ببؤر التوتر، ويمكنه رفع صوت تركيا عالياً على المستوى الإقليمي والدولي.

من يعتقد أنّ هذه الهجمة الشرسة من الإعلام الفرنسي على الرئيس التركي أردوغان، والدعوة الصريحة لإسقاطه، هي من أجل الديمقراطية، فما عليه إلا أن يراجع قراءته لهذا الإعلام الحاقد على الإسلام ولكل صورة إيجابية عنه، إنّه إعلام يحب الإثارة والنمطية وتصوير منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا MENA منطقة خراب وعنف وتطرف ديني وفساد.

كخاتمة، ان الشعب التركي سبق وأن أثبت للعالم إيمانه العميق بالمسار السلمي الديمقراطي، من خلال مواقفه في ليلية المحاولة الانقلابية الفاشلة في تموز 2016 ، حينها خرج ملايين الأتراك، على اختلاف انتماءاتهم الحزبية والمذهبية والعرقية والطبقية، معبرين بصوت واحد عن رفضهم عودة تركيا إلى عهد الانقلابات والأزمات السياسية، وبعد نتائج الانتخابات الأخيرة في تركيا نستطيع التحدث عن النموذج التركي الناجح في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وعلى فرنسا أن تعلم أن الجمهورية التركية الثانية تستطيع أن تجمع بين وسطية الإسلام واعتدال الحداثة. ■

عبد النور تومي: باحث وأكاديمي من الجزائر، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، خبير في قسم دراسات شمال افريقيا في مركز أورسام.